

## خطة الفصل الإسرائيلية بين متطلبات الأمن والعزل العنصري

إعداد: خالد عايد

لكلمة "هفداه"، باللغة العبرية، عدة معان، بينها: فصل؛ عزل. واستعمل المصطلح في العقد الأخير للدلالة على المخططات والإجراءات الإسرائيلية الهادفة إلى الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، في الضفة الغربية تحديداً. ولدى تجدد الحديث في ظل الانتفاضة الأخيرة، تحت وقع العمليات الاستشهادية، بدأت الصحافة العبرية تنقل التصورات والأفكار المتصلة بالفصل: خطة "خط التماس" على امتداد حدود 4 حزيران/ يونيو، وخطة "منطقة التماس" الأشبه بحزام أمني يمتد بضعة كيلومترات إلى الشرق من تلك الحدود، والفصل من جانب واحد، وصولاً إلى تنويعات على "خطة الكانتونات" الشارونية الرامية إلى إقامة معازل للفلسطينيين. كما أخذت الصحافة تعرض المواقف المتناقضة حيال فكرة الفصل ذاتها، بدءاً بالتي تعتبرها مجرد إجراءات أمنية ضرورية، وصولاً إلى تلك التي ترى فيها انسحاباً إسرائيلياً أحادياً من الضفة.

إن ما هو مشترك بين شتى مقترحات الفصل الإسرائيلية هو الغموض الذي يظللها، ربما بسبب مضامينها الأمنية، و/أو حساسياتها السياسية، و/أو ما قد يفوح من بعضها من روائح عنصرية فاضحة. ولم يُنشر طوال الفترة السابقة نص واحد من هذه المقترحات، باستثناء خطة شاحل سنة 1995. وسنعالج فيما يلي مسألة "الفصل"، بقدر ما تسمح به المادة العبرية المتوفرة.

### نشأة الفكرة وتطورها

يروى أحد الكتاب الصحفيين الإسرائيليين "قصة الفصل" على النحو التالي:<sup>(1)</sup> "لا يستطيع ستة ملايين إسرائيلي وأربعة ملايين عربي أن يسكنوا معاً، لأن الاحتكاك مدمر، وينمي إرهاباً خطراً وفظيماً. ولا يمكن إجراء فصل كاتم بين المجموعتين السكانييتين، ما دام هناك مستوطنات في عمق يهودا والسامرة وقطاع غزة.... وإضافة إلى ذلك، فإن الدفاع عن المستوطنات غير ممكن، لأن ليس هناك جيش في العالم يستطيع أن يحمي حماية مطلقة 3000 كلم من الشوارع والطرق التي تصل بين المستوطنات وتصلها بداخل البلد. وعقب بدء الانتفاضة، برزت مجدداً فكرة السياج الذي يُقام على امتداد الخط الأخضر، أو بالقرب منه، وراء الكتل الاستيطانية

التي كان براك وشلومو بن - عامي يخططان لضمها إلى إسرائيل، في إطار اتفاق دائم مع الفلسطينيين.

"يتراوح طول هذا السياج الحدودي بين 300 و400 كلم. لكن هناك أيضاً جدال بشأن مسألة ما إذا كان يستطيع تأمين الدفاع، وإن كانت الأكثرية توافق على أن من شأن السياج تصعيب عبور مخربين متمنطقين بأحزمة ناسفة. وقد حاولت الحكومات المتعددة في الماضي تنفيذ خطة الفصل فعلاً، وخصوصاً بعد حدوث عمليات تخريبية شديدة. ففي انتخابات سنة 1988 عرض حزب العمل خطة "هألوفيم"، التي اقترحت إقامة سياج فاصل على خط التماس، لكن الليكود هو الذي فاز في صناديق الاقتراع. وفي أوائل سنة 1995، بعد العملية التخريبية في بيت ليد، طلب رئيس الحكومة المرحوم يتسحاق رابين من وزير الأمن الداخلي، موشيه شاحل، وضع خطة فصل عن الفلسطينيين. وعمل شاحل بجهد، مع ممثلي الجيش برئاسة نائب رئيس الأركان آنذاك متان فيلنائي، ومع قادة الشباب، لكن الخطة سقطت لأسباب اقتصادية أساساً.

"وخلال سنة 1996، بعد أن تسلم بنيامين نتنياهو السلطة، بادر أفيغدور كهلاني الذي خلف شاحل إلى وضع خطة "متساديم"، التي تتكون أساساً من إقامة سياج وعوائق على امتداد الخط الأخضر، تحول دون عبور السيارات. وسقطت خطة كهلاني التفصيلية لأسباب سياسية، تعود إلى الخوف الأزلي لدى اليمين من أن ترسم العوائق حدوداً للدولة غير مرغوب فيها. وتم تنفيذ جزء من الخطة على الأرض. وقال كهلاني لـ [صحيفة] زمان هاشارون إنه يمكن زرع ألغام إلى جانب السياج تحول هي أيضاً دون الوصول بحرية إلى الأراضي الإسرائيلية. أمّا متان فيلنائي، وهو الوزير اليوم، فقال هذا الأسبوع إن ثلاثة ملايين لغم كانت مزروعة على امتداد الحدود الإسرائيلية - الأردنية، ولم تمنع أعمال التسلل. وفيلنائي يؤمن اليوم قليلاً بسياج فصل فعلي على امتداد الخط الأخضر بكامله."

"قصة الفصل" هذه لا تعرض بالتفصيل خطة الفصل التي قدمها وزير الشرطة، موشيه شاحل، في أوائل سنة 1995 إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك يتسحاق رابين. وكانت تلك الحكومة قد ألفت، عقب العمليات الاستشهادية المتكررة، لجنة برئاسة شاحل وعضوية رئيس هيئة الأركان، ورئيس الشباب، ومدير ديوان الحكومة، ونائب وزير الخارجية، والمفوض العام للشرطة، وضباط رفيعي المستوى آخرين. ووضعت اللجنة خطة لـ "الفصل الأمني"، تضمنت هدف الخطة وتصورات كل من الجيش والشباب والشرطة، وتوصيات اللجنة، وتفصيل الخطة... إلخ. ونظراً إلى أن هذه الخطة هي النص الرسمي الأوفى والأكثر تبلوراً، الذي ينشر حتى الآن بشأن مفهوم الفصل، فإننا نعرض فيما يلي مقاطع منها موسعة بعض الشيء.<sup>(2)</sup>

تناولت المقدمة هدف الخطة، ووضعت الخطوط العريضة لها على النحو التالي:

(1) تحديد مسالك عبور خاضعة للرقابة، تمكّن إسرائيل من أن تصعب دخول أشخاص غير مرغوب فيهم إليها، وإدخال الأشخاص والبضائع المسموح بها من هذه المعابر فقط.  
 (2) في المناطق التي ستنشأ بين المعابر، ستنشط دوريات معززة مزودة بوسائل متطورة. أمّا في جزء صغير من هذه المناطق (نحو 29 كلم) فسيقام سياج ملائم، يخضع لرقابة متطورة ومتحركة.

(3) إن مغزى إقامة هذا الترتيب هو دخول الفلسطينيين إلى إسرائيل من المعابر المرخصة فقط، وسيكون عدد من يُسمح لهم بالدخول ونوعيتهم مرتبطين بالوضع الأمني اليومي.  
 وقد حرص واضعو الخطة على ضرورة التأكيد إعلامياً "أن الأمر لا يتعلق بتاتاً بترسيم حدود، وإنما بترتيبات أمنية مؤقتة ومرنة لا تشكل استباقاً للمفاوضات بشأن التسوية الدائمة، بأي شكل كان." ومزجت الخطة بين اقتراحي الجيش والشرطة المتشابهين، اللذين ينطويان على "ميزات عملانية وقانونية واقتصادية":

(1) تقوم الخطة على أساس "منطقة فصل"، يقام معظمها في الضفة الغربية، وتُعلن منطقة عسكرية مغلقة.

(2) إقامة معابر منظمة تحت مسؤولية الشرطة، يمكنها أن تستوعب وتفحص وتصادق على دخول الأشخاص والسيارات والبضائع، مع الحفاظ على المستوى الأمني الذي يُحدّد.

(3) بين المعابر، يتولى الجيش مسؤولية أعمال الأمن الجاري، التي تشمل على أجهزة، ووضع عوائق، وسد المعابر غير القانونية.

(4) لا يُقام سياج أمني إلا في مناطق لا وسيلة بديلة فيها لتأمين منطقة التماس.

(5) يجب تطوير القدرات الاستخباراتية التي تخدم أهداف الخطة، مع تأكيد الحرب ضد "الإرهاب"، من خلال تعزيز عناصر الاستخبارات والتحقيق عند المعابر وفي المنطقة.

(6) يجب تعزيز الشبكة الوقائية والإحباطية وتكثيفها.

وجاء في تفصيل الخطة: نقل المسؤولية عن المعابر إلى الشرطة وتحسين الوضع الراهن فيها؛ يقوم النشاط على أساس دوريات ونقاط مراقبة ونشاط جوي وقوات لتحديد مكان عابري المنطقة؛ وضع عوائق لمنع الدخول، وكذلك وضع سياج في الأماكن الحيوية من وجهة النظر الأمنية؛ الردع من خلال سن قوانين وعقوبات شديدة ضد من يدخلون بصورة غير قانونية، وضد من ينقلهم أو يشغلن أو يؤمن لهم المبيت.

وفيما يتعلق بالقدس تحديداً، تضمنت خطة الفصل ما يلي:

□ لن يكون ثمة أي فصل ضمن الحدود البلدية للقدس، التي ستعامل، في كل شيء، على أنها المدينة الموحدة بحدودها التي تحدت في القانون.

□ يُسدّ مادياً معظم طرق الوصول الفرعية والمرتجلة المؤدية من الضفة إلى القدس، ويُحرَس مكان سدّها.

□ تحدّد ستة معابر على مداخل القدس، على الحدود البلدية للمدينة، وتدار هذه المعابر تحت مسؤولية الشرطة.

□ تشديد القيود على دخول القدس والهجرة إليها [من جانب العرب طبعاً]، والتشدد في فرضها.

### أكثر من مخطط تنفيذي؟

لم تر خطة ساحل للفصل النور، كما هو معروف. ومنذ ذلك الحين، اضطر حرس الحدود الإسرائيلي، ثلاث مرات، إلى إعادة النظر في خطة الفصل التي تحمل اسم "متسديم"، بسبب التغيير الحكومي وبروز الحاجة إلى تكييف الخطة بما ينسجم مع توجه الحكومة الجديدة.

وفي هذا الصدد، يورد تقرير صحفي نُشر في آذار/ مارس الماضي<sup>(3)</sup> المعلومات التالية: كان إيهود براك يريد أن يدخل في الخطة مجدداً مكونات تعاون مع الفلسطينيين. لكن بعد اندلاع الانتفاضة، لم يعد ثمة مناص من تبني خطة تشبه الخطة التي كانت عرضت على سلفه، بنيامين نتنياهو. وقد وافق براك على الخطة قبل سقوط حكومته، وأخذت توضع موضع التنفيذ.

يمر تنفيذ الخطة، بحسب التقرير نفسه، بثلاث مراحل (انظر الخريطة رقم 1 وقارنها بالخريطة رقم 2) وتهدف المرحلة الأولى إلى تغطية المنطقة الوسطى من خط التماس مع الضفة الغربية، "الخاصرتين الضيقتين لإسرائيل". وتبلغ المسافة في الخاصرة الأضيّق، من نتانيا إلى طولكرم، نحو 12 كلم فقط. ويبلغ طول المنطقة المذكورة نحو 70 كلم، تمتد من مفرق مي - عامي (بالقرب من جنين) شمالاً إلى اللطرون (بالقرن من القدس) جنوباً. وبدأت الأعمال الأولية في هذا القاطع منذ أشهر بالقرب من مدينتي طولكرم وقلقيلية. وتقدّر تكلفة المرحلة الأولى من الخطة بنحو 100 مليون شيكل (25 مليون دولار تقريباً). وتتمحور المرحلة الثانية في "ممر القدس"، من اللطرون إلى منطقة بيت غوفرين. أمّا المرحلة الثالثة فتتمحور في شمال الضفة وجنوبها. وبحسب أقوال العميد في الاحتياط يوسي ملميد، وهو مستشار أمني رفيع المستوى لوزير الأمن الداخلي، من المتوقع أن ينتهي تنفيذ الخطة بعد أقل من عام.

في إطار الخطة، لن تُقام عوائق إلا في المناطق التي يمكن - من ناحية طبيعة الأرض - أن تدخلها سيارات. وستقتصر الحركة من الضفة إلى إسرائيل على عدد محدود من المحاور، تُنشأ عليها معابر منظمة، على غرار المعابر الحدودية في السياج الذي يحيط بقطاع غزة. وتُقام عوائق بين هذه المحاور المرورية. وتشمل الوسائل التي يفترض إقامتها على امتداد خط التماس: مكعبات أسمنتية لقطع المحاور؛ عوائق مثل السواتر الترابية والخنادق والأعمدة الحديدية؛ أبراج مراقبة؛ دوريات معززة في المنطقة؛ أجهزة إلكترونية تشمل كاميرات "نائمة" تعمل عندما يطاء شخص مكاناً معيناً.

يبدو أن خطة "متسديم" التي تناولها التقرير الصحافي أعلاه ليست خطة الفصل الوحيدة في جعبة القيادة الصهيونية، السياسية - العسكرية. ففي أوائل حزيران/ يونيو الماضي، كتب المعلق العسكري المعروف، زئيف شيف، عن خطة للجيش الإسرائيلي تقوم على أساس إيجاد "منطقة تماس"، لا "خط تماس"، لمنع تكوّن الانطباع بأن ما يجري هو رسم خط حدود ثابتة على امتداد الخط الأخضر" (خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967).<sup>(4)</sup> وبحسب شيف، ستمتد منطقة التماس، وفق الخطة، إلى الشرق من "الخط الأخضر" ويكون الجيش الإسرائيلي مسؤولاً عن العمل فيها، بينما تكون الشرطة، بما في ذلك سرايا من حرس الحدود، مسؤولة عن العمل إلى الغرب من الخط المذكور. وستمتد المنطقة حتى خط المستوطنات الأول ولن تتضمنها، وسيتراوح عرضها بين 8 كيلومترات و3 كيلومترات تقريباً. وقد بدأ فعلاً نشر قوات من الجيش في هذا القطاع، جاء جزء منها من مناطق في الضفة. ولا تتجه النية إلى إقامة عوائق كبيرة على امتداد جميع المناطق الحدودية، لكن سيجري تشغيل وسائل مراقبة متقدمة، بما فيها وسائل جوية وأرضية. وستقطع طرق كثيرة بواسطة خنادق لمنع المرور في اتجاه الغرب. وستشمل منطقة التماس أيضاً قطاعات معينة من الدائرة الخارجية الكبرى التي تحيط بالقدس، في شرق المدينة وشمالها.

ويضيف شيف أن مشاورات كانت أُجريت مع النيابة العسكرية التي تُعدّ الأساس القانوني لهذه الإجراءات. إذ من الواضح أن حياة السكان الفلسطينيين في منطقة التماس ستتأثر جرّاء إقامة المنطقة. ولن يكون في إمكانهم الحركة غرباً نحو "الخط الأخضر"، لكن لم يُمنعوا من فلاحه أراضيهم، شرط أن يقوموا بذلك خلال النهار. ولن يُسمح لهم بالحركة في ساعات الظلام إلا داخل قراهم، ويحظر عليهم الخروج منها. وسيساعد الجيش الشرطة في حل مشكلة دخول العرب (الفلسطينيين والأردنيين والمصريين) إلى إسرائيل بصورة غير قانونية. وهذا الأمر يتطلب إعداد معسكرات اعتقال كبيرة، ولو لفترة قصيرة.

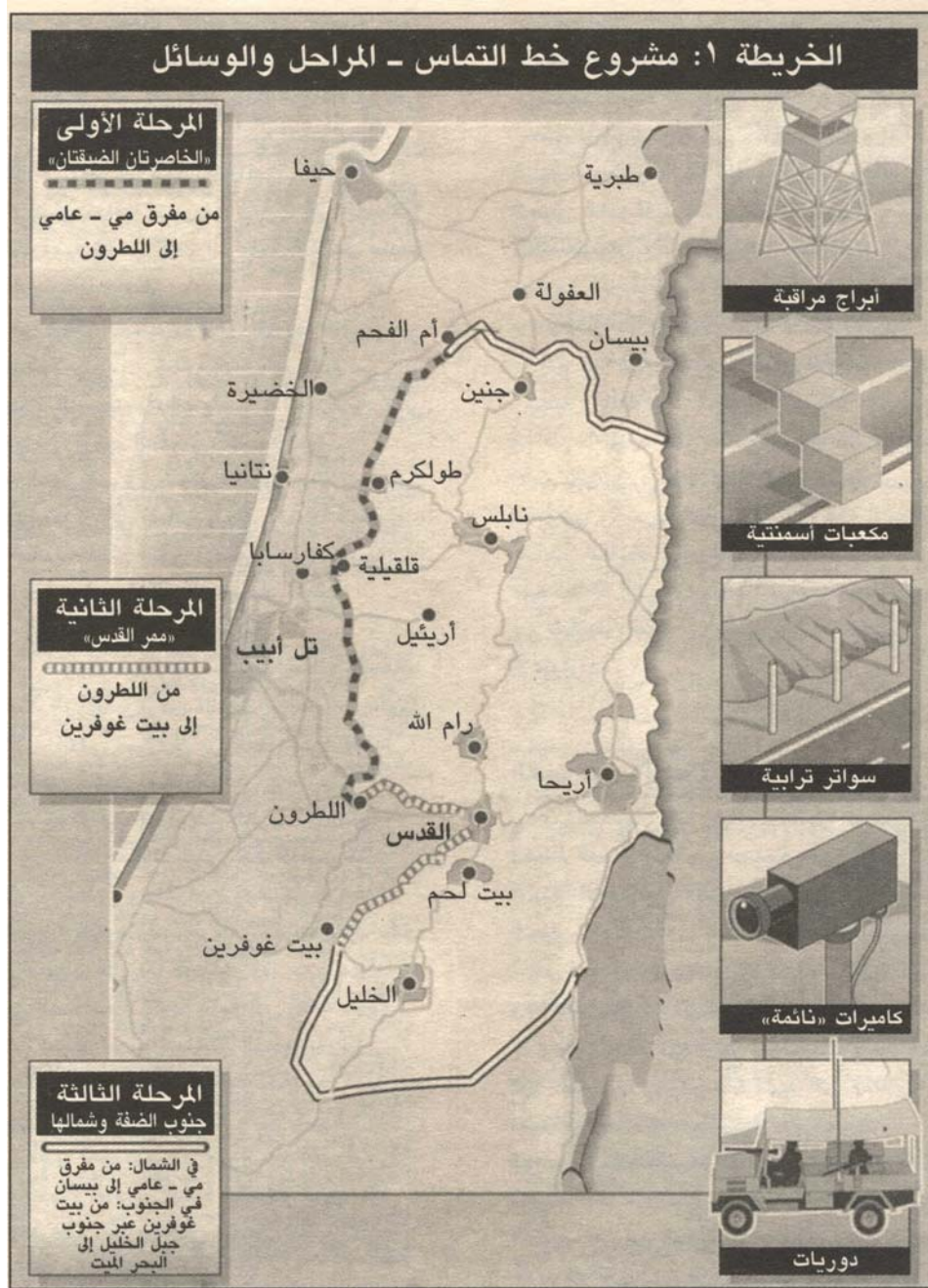
إذاً، كما يبدو، لا يوجد حتى الآن خطة فصل رسمية واحدة وحيدة يجري تنفيذها على الأرض، أو أقله لا يوجد نص منشور لمثل هذه الخطة. ولعل الأمر يعود إلى ثلاثة اعتبارات رئيسية:

ستار الغموض والسرية الذي يلف مثل هذه الخطة، الأمنية أساساً؛ العقبات والعراقيل التي تواجه تطبيق مثل هذه الخطة والجدوى منها؛ غياب الإجماع الصهيوني في شأنها. وفيما يلي شيء من التفصيل لهذه الاعتبارات.

### الغموض والسرية

من الواضح، كما رأينا أعلاه، أن الصيغ المنشورة لخطط الفصل إنما هي أساساً صيغ تضعها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية: الشرطة والشاباك، وخصوصاً الجيش. ويكون لهذه الخطط ملاحق تفصيلية لا تُنشر في العادة، وإنما يتم تنفيذها على الأرض. وهذا أمر طبيعي في الخطط العسكرية إجمالاً.

وعلى الرغم من مرور أعوام كثيرة من الحديث عن "الفصل"، و مرور عدة أشهر من الحديث عن تطبيقه للحد من العمليات الاستشهادية والتفجيرات في سياق الانتفاضة، فليس واضحاً حتى الآن ما تم تنفيذه فعلاً من أعمال فصل، ولا الأعمال التي تنتظر التنفيذ. لكن من المؤكد أن وسائل فصل متعددة نُفذت فعلاً، إما مع مرور الزمن وإما في الآونة الأخيرة، ونشرت وسائل الإعلام صوراً لها، مثل: السور الذي يفصل بين مستعمرة متان وقرية حبله بالقرب من قلقيلية؛<sup>(5)</sup> السياج الكهربائي الذي يجري بناؤه حول مستعمرة بت حيفر المجاورة لطولكرم.<sup>(6)</sup> الخندق المحفور حول مدينة أريحا (بعمق 8 أقدام و عرض 5 أقدام)<sup>(7)</sup> ومع ذلك، يظل الغموض يلف ما يجري على صعيد "الفصل". مثال ذلك الخبر الذي وزعه ديوان رئيس الحكومة، في 19 تموز/ يوليو الماضي، بشأن "خطة عمل في منطقة التماس" أقرتها اللجنة الوزارية للأمن القومي "في إطار مكافحة الإرهاب". فقد اكتفى الخبر بالقول إن الخطة تشكل أحد عناصر مواجهة الإرهاب من خلال القيام بنشاط معزّز لإحباط التسلسل ومنع الإقامة غير القانونية في إسرائيل. ويُقصد بذلك نشاط عملائي معزّز، وتدابير صارمة في منطقة التماس، مع التشديد على المعالجة القضائية للمتسللين ومن يشغلهم ويؤويهم من الإسرائيليين، وللذين يقيمون بصورة غير شرعية.<sup>(8)</sup>



المصدر: "يديعوت أحرونوت"، 2001/3/6

## الخريطة ٢: ترسيم محتمل لـ «منطقة التماس»



### الأعمال على امتداد الخط الأخضر

- إيجاد حزام باسم «منطقة التماس» عرضه ٣ - ٨ كلم (تمتد المنطقة حتى خط المستوطنات الأول)
- تشغيل وسائل مراقبة متطورة (دوريات من الجو وعلى الأرض)
- السد المادي لمعظم طرق المنطقة
- قطع طرق كثيرة بواسطة خنادق

المصدر: «هآرتس»، ٥/٦/٢٠٠١.



## العقبات والعراقيل والجدوى

يشار عادة إلى ثلاث مشكلات أساسية حالت، حتى الآن، دون القيام بمعالجة جذرية لمنع "التسلل" عبر "الخط الأخضر"<sup>(9)</sup>

1) المشكلة السياسية المتمثلة في الخوف من أن تؤدي إقامة خط أمني لمنع التسلل إلى إيجاد واقع سياسي على الأرض، أي إلى تحديد حدود.  
2) مشكلة التمويل، إذ إن نفقات حماية حدود يزيد طولها على 300 كلم تقدر بمليارات الشيكلات.

3) وجود الإحساس بأنه خلافاً لما هو قائم على حدود إسرائيل مع قطاع غزة، لا يوجد في منطقة الضفة الغربية حل فعلي يمنع التسلل ويجعل الترتيبات الأمنية ممكنة. هذا السبب الثالث يتصل اتصالاً وثيقاً بمسألة جدوى خطط الفصل. وهناك ما يشبه الإجماع بين مؤيدي الفصل ومعارضيه، وحتى داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، على محدودية جدواه. فزئيف شيف يكتب أن لا وهم لدى هيئة الأركان أو الشرطة من أن تمنع أعمال الفصل منعاً كاملاً دخول "مخربين" يحملون عبوات ناسفة، "لكن الفرضية هي أن حركتهم ودخولهم إلى إسرائيل سيكونان أصعب، وهناك فرصة لأن يكشفوا وهم في طريقهم."<sup>(10)</sup> ونسب تقرير صحفي إلى مصادر في الشرطة ووزارة الأمن الداخلي قولها، في 5 آذار/ مارس الماضي، إن خطة "متساديم" للفصل لن تمنع أبداً وبشكل كامل دخول "مخرب" فرد يريد التسلل مشياً على الأقدام إلى إسرائيل، لكن يمكنها على الأقل أن تحول دون وقوع عدد من "العمليات التخريبية"، وأن تجعل من الأصعب تهريب سيارات وغيرها. وقالت المصادر الأمنية: "إن الخطة لن تغلق الخط الأخضر مئة في المئة."<sup>(11)</sup>

غياب الإجماع الصهيوني بشأن الفصل

تتضارب مواقف الإسرائيليين من مسألة الفصل بصورة لافتة للنظر. وقد عبر أحد الصحافيين عن ذلك على النحو التالي: كما كان الحال في قضية الانسحاب الأحادي الجانب من لبنان، "يؤيد فكرة الفصل الأحادي الجانب أيضاً شركاء غريبون، ينتمون إلى مختلف تلاوين اليمين واليسار. فرئيس الحكومة أريئيل شارون، المعارض بشدة للفصل الأحادي الجانب، على الأقل في هذه المرحلة، يجد نفسه في قارب واحد مع شمعون بيرس وشلومو بن - عامي، وزهافا غالون من ميرتس. وعضو الكنيست حايم رامون، الذي تحول، بمساعدة كثيفة من صحيفة زمان هاشارون التي تغطي مناطق التماس في وسط البلد، إلى القوة الريادية لفكرة الفصل بواسطة سياج، هو اليوم شريك أيديولوجي لعضو الكنيست دان مريدور، التنقيحي العائد في طريقه إلى

الليكود. وعضو الكنيست يغال بيبي (المفدال) الذي يطرح فكرة فصل طموحة هو شريك مبدئي لرأي عميرام غولدبلوم، أحد مؤسسي السلام الآن، وهكذا دواليك.<sup>(12)</sup>

الصحافة: أكثر من موقف

عكست المقالات الصحافية الإسرائيلية، من جانبها، مثل هذا التضارب في المواقف من الفصل وفيما يلي بعض النماذج.

موشيه أرنس، وزير الدفاع ووزير الخارجية الأسبق وعضو الكنيست عن الليكود، كتب أن اقتراح الفصل والترانسفير "غير عمليين ويتعارضان مع قيمنا الخلقية ومع المفاهيم المقبولة والمنطق السليم". وأضاف: "فيما يتعلق بالجانب العملي لاقتراح الفصل، يبدو أن الذين بادروا إليه نسوا أن أكثر من مليون من مواطني إسرائيل العرب... يعيشون داخل حدود إسرائيل، ولا سبيل لـ فصلهم عن المواطنين اليهود. وفي عاصمة الدولة، القدس، يعيش نحو 200 ألف فلسطيني، ومن الصعب التصديق أن أحداً ما يفكر جدياً في إقامة سور برلين في المدينة. وربما الفكرة هي أن الفلسطينيين الإسرائيليين، العرب الطبيعيين، سيعيشون في الجانب الإسرائيلي من السياج، في حين يعيش العرب الأشرار في الجانب الثاني. ولسنا بحاجة إلى كثير من الخيال كي نتصور أية مشاعر يثيرها الحديث عن الفصل في صفوف المواطنين العرب."<sup>(13)</sup>

هناك أسباب عملية مشابهة يوردها الصحافي حغاي سيغل، المعارض لفكرة الفصل، ويمكن تلخيصها في ثلاثة:<sup>(14)</sup>

□ لا شيء اسمه فصل أحادي الجانب بين الإسرائيليين والفلسطينيين. "وحتى إذا أقيم سور صيني بين أرض إسرائيل الصغيرة ومناطق يهودا والسامرة، فسيظل مئات الآلاف من الفلسطينيين في القدس غير القابلة للتقسيم... وبالإضافة إليهم سنضطر إلى العيش في الجانب نفسه من السياج مع نحو مليون فلسطيني - إسرائيلي."

□ "ما دمنا، في كل حال، سنجد صعوبة في رفع السياج حتى السماء، فسيظل خيار المدفع مفتوحاً أمام الفلسطينيين. ولن يتردد عرفات في استعماله. كما أنه سيكون قادراً دائماً دائماً على الاعتداء على الجنود الكثيرين الذين سيحرسون السياج، كما يفعل حزب الله بجنودنا في هار دوف [مزارع شبعاً] بعد تنفيذ خطة الفصل في الشمال."

□ ليست خطة الفصل سوى "الأخت الصغيرة للمسترة الواقية من الرصاص، والسيارات المصفحة والمكعبات الأسمنتية، وجميع تلك الوسائل السخيفة التي لم تنجح في أن تكون بديلاً من القتال الجبهي للعدو." وهي طبقت في قسم صغير حول قطاع غزة، ولم تنجح.

في المقابل، هناك صحفيون يؤيدون هذا النوع أو ذلك من الفصل لاعتبارات متعددة. فالصحافي زئيف شيف، في معرض تحليله للزيادة النسبية في عدد القتلى الإسرائيليين مؤخراً، يتوقف عند نقطتي ضعف اثنتين في دفاع إسرائيل، إحداهما الدفاع عن الحدود مع الضفة الغربية (والثانية وجود طرق كثيرة في الضفة). وجاء في الفقرة التي تناولت نقطة الضعف الأولى: "بشأن الدفاع عن الحدود، أو عن 'منطقة التماس'، كُتِب الكثير، متمضناً أخطاء. إن الذين يعارضون الدفاع عن الحدود، كما يعارضون إجراءات دفاعية أخرى تتخذها إسرائيل، يدعون، مثلاً، أن من الصعب إغلاق القدس. وهذا صحيح؛ لكن هل يُستنتج من ذلك عدم القيام بشيء لتعزيز الإغلاق في [منطقة] الشارون أمام العبور إلى مدن مثل نتانيا وحديراه [الخضيرة] وكفار سابا وبيتح تكفا، وتل أبيب أيضاً؛ وهي مدن عانت الكثير بسبب الحدود القابلة للاقتحام من قبل السيارات والأشخاص؟ ليس ثمة إغلاق محكم في أي مكان، لكن ذلك لا يعني عدم جعل عبور المخربين صعباً...." (15)

ولئن كانت الاعتبارات العسكرية هي الطاغية بوضوح في موقف شيف من الفصل، فإن اعتبارات مشابهة تتحكم في موقف محلل مثل أمنون دنكنر الذي يذهب إلى حد القول إن لا بديل من الفصل الأحادي الجانب، بما يتضمن من انسحاب وإخلاء مستوطنات. ويرد دنكنر على الذين يعارضون ذلك بأنهم إنما "يحكمون علينا في الحقيقة بتدهور الأوضاع ونزيف الدماء طوال أشهر أو أعوام مع ارتفاع متزايد في مستوى العنف". ويضيف: "إن الميزة الكبرى للفصل الأحادي الجانب في وضع معنوياتنا القومية هي أنه يعرض مخرجاً ديناميكياً من وضع ورطة قومية. إن فيه دينامية وفاعلية، وفيه أمل أساساً. فاليوم، إذ يدور الحديث عن الظلام في آخر النفق، وأحاسيس سلبية قاسية تتعلق بالاستسلام للقدر والعجز المتزايد الرسوخ في أوساط الجمهور... فإنه [الفصل] بالتأكيد أفضل من تحرك حربي." (16)

\* \* \*

عرضنا أعلاه شتى الأفكار والتصورات والمخططات والمواقف الإسرائيلية المتعلقة بالفصل / الفصل الأحادي الجانب. وأشرنا إلى الغموض الذي يكتنف الموضوع، والتضارب الداعي إلى الاستغراب في آراء السياسيين والصحافيين الإسرائيليين. وقد انعكس هذان الغموض والتضارب في نتائج استطلاعات الرأي التي أجريت في الأشهر الأخيرة. فقد أظهر الاستطلاع الذي أجرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" ود. مينا تسيمح/ 'داحف'، بعد مرور نصف عام على نشوب الانتفاضة، أن 74% من الإسرائيليين يؤيدون الفصل الأحادي الجانب. وبلغت النسبة في صفوف مؤيدي حزب ميرتس ("اليساري") 71%، في حين بلغت 80% في صفوف المستوطنين. (17) وفي استطلاع آخر أجرى في إطار مشروع "مؤشر السلام" الذي ترعاه جامعة تل أبيب، ظهر أن نحو

60% يؤيدون الفكرة. وبلغت نسبة المؤيدين في صفوف ناخبي شارون 53% وفي صفوف ناخبي براك 76%.<sup>(18)</sup>

أياً يكن الأمر، فإن هناك وجهاً لفكرة الفصل لا تميّط اللثام عنه تماماً تصريحات القادة السياسيين، ولا تحليلات الصحافيين، ولا استطلاعات الرأي العام في إسرائيل. وهذا ما سنتناوله في الفقرة التالية.

### المسكوت عنه: الفصل العنصري

يُعرف عن أريئيل شارون معارضته الشديدة لـ"الفصل"، وينسب إليه قوله عن المؤيدين إنهم لا يعرفون قراءة الخرائط: "أنظروا أين المستوطنة، وأين السياج الذي يخططون له. سيصبح سياج المستوطنة خطة الجبهة. سيقفز المخربون إلى الداخل، إلى داخل المستوطنة. هناك حاجة إلى منطقة تعمل وراءها قوات...".<sup>(19)</sup> لكن لا يُعرف عن شارون تأييده القوي لـ"فصل" من نوع آخر. منذ أعوام كثيرة، طور شارون خطة للتسوية الدائمة عُرفت باسم "خطة الكانتونات"، عرضها على الأميركيين في تشرين الثاني/ نوفمبر 1997، عندما كان وزيراً للبنى القومية التحتية في حكومة بنيامين نتنياهو. لا يُعرف الكثير عن الخطة، لكنها تقوم على أساس منح الفلسطينيين مناطق حكم ذاتي لا وجود لاتصال جغرافي بينها. وسيقطع الاتصال بين هذه المناطق بواسطة طرق عرضية تصل بين السهل الساحلي والقدس وغور الأردن، باعتبارها ضرورة لدواعي الأمن.<sup>(20)</sup>

لم يصلنا أي ذكر لـ"خطة الكانتونات" مؤخراً. لكن خرج أكثر من صوت يذكر بها وبجوهرها العنصري. فوزير البنى القومية التحتية، أفيغدور ليبرمان (الاتحاد القومي)، يرى أن "أي خط لم ينفج، لا جدار برلين، ولا خط ماجينو، ولا خط بار - ليف". وعليه فهو اقترح "فصلاً بالعرض" يقطع الضفة الغربية وقطاع غزة إلى كانتونات. ويعرض عضو الكنيست يغال بببي (المفدال) فكرة "مفاجئة" للانفصال عن الفلسطينيين: توسيع قطاع غزة إلى داخل الأراضي الواقعة تحت السيادة الإسرائيلية، ونقل مئات الآلاف من الفلسطينيين من يهودا والسامرة إلى المستوطنات والكيبوتسات الواقعة على امتداد خط الحدود مع القطاع. "أما المنطقة التي يخليها العرب فيسكنها مستوطنون إسرائيليون. ويقول: "هذا سيكون فصلاً بين الشمال الإسرائيلي والجنوب الفلسطيني".<sup>(21)</sup>

وبدأ، مؤخراً، خبراء عسكريون عرض أفكار مماثلة، وأكثر وضوحاً، في سياق مقترحاتهم بشأن تكتيكات قتالية بديلة للقضاء على الانتفاضة. وكان بين هؤلاء عاموس غورين، مستشار الحماية والاستخبارات والضابط الرفيع المستوى في الشاباك سابقاً. يقول غورين: "... عندما يسقط

عرفات تتفكك السلطة الفلسطينية بعد صراعات داخلية بشأن السلطة بين أجهزة الأمن وضد المنظمات المتطرفة، تؤدي (بمساعدة إسرائيل) إلى إقامة 3 أو 4 مناطق حكم ذاتي، منفصلة ومسيجة، تحكمها الجهات القوية في كل منطقة، وسيكون ممكناً مع هذه الجهات التوصل إلى اتفاقات محلية، منفصلة وطويلة المدى.<sup>(22)</sup>

يجب الإشارة هنا إلى أن مثل أفكار الفصل العنصري هذه أخذ طريقه إلى التطبيق جزئياً، وأن أحد السيناريوهات الكبرى المقترحة (أو ما يشبهها) قد يُنفذ في وقت غير بعيد. وبكلام آخر، فإن إجراءات الفصل العنصري التي تطبقها سلطات الاحتلال الآن بذريعة الأمن هي متفرعات من فكرة الفصل الكبرى المتداولة في إسرائيل. ومن الأمثلة لهذه الإجراءات، المعلومات الصحافية التي نُشرت مؤخراً بهذا الصدد. وجاء في هذه المعلومات أن سلطات الاحتلال عمدت، منذ 30 أيار/ مايو، إلى إغلاق الطريق رقم 60 الواصل بين بيت لحم والخليل أمام حركة الفلسطينيين، علماً بأن مخارج القرى التي شقّ الطريق في أراضيها مغلقة منذ بداية الانتفاضة. وأضافت المعلومات: "إن الوضع مشابه في مناطق متعددة من الضفة: هنا طريق رئيسي مغلق أمام حركة الفلسطينيين، وهناك طوق مفروض على منطقة كاملة ويمنع مرور المشاة أيضاً. وتظهر في كل مكان سواتر ترابية ومكعبات أسمنتية تقطع قرى بكاملها عن الطرق اللوائية. هكذا كان الحال منذ عشرة أشهر. إن الضفة منقطعة بمئات القرى الفلسطينية المعزولة، تحولّ الانتقال بينها - عبر طرق ترابية خطيرة - إلى عذاب يستمر عدة ساعات في كل اتجاه، تتنازل الأكثرية عنه."<sup>(23)</sup>

\* \* \*

وفي الختام، فإنه يتضح عدم وجود خطة فصل إسرائيلية واحدة محددة. وكما أن مفردة "هفرداه" العبرية تتضمن أكثر من معنى، فإن فكرة "الفصل" تنطوي على أكثر من تصور وتواجه بأكثر من موقف. لكن التصورات والمواقف المتنوعة جميعاً تنطلق من الهاجس الأمني الذي أحيطه الانتفاضة، ويصل بعضها إلى مقولات العزل العنصري السافر وتطبيقاته. ■

## المصادر

- (1) شلوم يروشملي، "الفصل الأحادي الجانب يعبر الخطوط"، مترجم عن العبرية من موقع صحيفة "معاريف" (2001/6/8) في الإنترنت: <http://images.maariv.co.il/cache/ART152981.html>
- (2) "هآرتس"، 12/4/1995. والترجمة العربية في: "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد 23، صيف 1995، ص 222-227.
- (3) زئيف شيف، "خطة الجيش الإسرائيلي: حزام كبح عريض"، "هآرتس"، 2001/6/4. أنظر أيضاً: نيكول كراو وأمنون برزيلي، "جهود مركزة لتخطيط منطقة التماس"، "هآرتس"، 2001/6/5، وانظر هناك: خريطة "تخطيط ممكن لمنطقة التماس".
- (4) زئيف شيف، "خطة الجيش الإسرائيلي: حزام كبح عريض"، "هآرتس"، 2001/6/4. أنظر أيضاً: نيكول كراو وأمنون برزيلي، "جهود مركزة لتخطيط منطقة التماس"، "هآرتس"، 2001/6/5، وانظر هناك: خريطة "تخطيط ممكن لمنطقة التماس".
- (5) "هآرتس"، 2001/6/8.
- (6) المصدر نفسه، 2001/6/12.
- (7) Between the Lines, vol. 1, no. 5, March 2001, p. 26.
- (8) موقع ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية في الإنترنت: <http://www.pmo.gov.il.ts.exe?tsurl=0.26.4797.0.0>
- (9) أمنون برزيلي، "هآرتس"، 2001/6/5.
- (10) "هآرتس"، 2001/6/4.
- (11) شموئيل وربورت، مصدر سبق ذكره.
- (12) يروشملي، مصدر سبق ذكره.
- (13) موشيه أرنس، "لا يمكن الفصل"، "هآرتس"، 2001/6/12.
- (14) حغاي سيغل، "حمقى على السياج"، مترجم عن العبرية من موقع صحيفة "معاريف" (ملحق السبت، 2001/6/8) في الإنترنت: <http://images.maariv.co.il/cache/ART152972.html>
- (15) زئيف شيف، "تدهور في نسب الاستنزاف"، "هآرتس"، 2001/6/8.
- (16) أمنون دنكنر، "الفصل الأحادي الجانب، لا خيار آخر"، "معاريف"، ملحق السبت، 2001/6/1، ص 10؛ أنظر أيضاً مقال دنكنر، "دلائل على اليأس والتفكك"، مترجم عن العبرية من موقع صحيفة "معاريف" (ملحق السبت، 2001/8/3) في الإنترنت: <http://images.maariv.co.il/cache/ART172312.html>
- (17) "يديעות أحرونوت"، ملحق السبت، 2001/3/30، ص 7.
- (18) "هآرتس"، 2001/6/4.

- 
- (19) يروشلمي، مصدر سبق ذكره.
- (20) بيرح طال، "هآرتس"، 1997/11/24.
- (21) يروشلمي، مصدر سبق ذكره.
- (22) عاموس غورين، "أسلوب قتال بديل"، مترجم عن العبرية من موقع صحيفة "يديעות أchronوت" (2001/7/26) في الإنترنت:  
<http://www.ynet.co.il/home/1,734,L-1342,FF.html?ArticleID=958068>
- (23) عميره هس، "طريق أحادية القومية"، مترجم عن العبرية من موقع صحيفة "هآرتس" (2001/7/18) في الإنترنت:  
<http://www.haaretz.co.il/hasite/pages/ShArtPE.jhtml?itemNo=53479&contrassID=2&subCor..>

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)